النشاط الثقافي في الغرب

فرنسا

ساغان ... مرة اخرى !

من خليل احمد خليل ـ ليون

***

صدر عن دار جوليار رواية لفرانسواز ساغان في ٢٥٦ صفحة بعنوان « La chamade » وهذه الكلمة من اصل لاتيني (clamare) وتعني « دق الطبل دليلا على استسلام محاصرين » ، والمحاصرون هنا من نوع اخر . ان الحصار الحياتي في فرنسا بدأ يختلف عن الحصار القديم ـ العسكري او الاقتصادي ـ انه حصار كياني قبل كل شيء . الانسان محاصر عند فرانسواز ساغان لانه ليس مفكرا ولا ابا او اما . انه لا شيء . وهذا الحكم تطلقه لوسي بطلة الرواية على نفسها . وقد رأى بعض النقاد الفرنسيين ان لوسي تشبه فرانسواز ساغان الا ان كاتبتنا نفت ذلك في اكثر من مقابلة صحفية .

والسؤال الرئيسي الذي نطرحه هو كيف يمكن لروائي ان يخلق بواسطة شخص غير موجود قصة تفرض وجودها ، قصة حضورية ؟ الرواية متعددة الابعاد . فهي تتناول سلوك الافراد الحياتي . والسلوك احدث اجتماعي وكل حدث اجتماعي متعدد الجوانب والابعاد : فهنا يمتزج الاخلاق والمأساة والسخرية والتصور الشعري ويصير اتحاد الكل في رؤية كيانية تمتد وتقتحم هيكل الحاضر معلنة السقوط والهزيمة امام الحصار الداخلي : الرغبات . والحصار الخارجي : الحدود . « فحب العالم يقتل كل شيء، حتى الرذيلة » . التطلع يطهر الانسان ، يربطه بالاخرين ويبعده عنهم في وقت واحد . ولا يمكن مع هذا ان نعزي انسانا بوجوده . الوجود مأساة ، قلق ، ارتحال داخل الاشياء وخارجها . الوجود ارتباط . الوجود امكان حياة وفعل وامتداد ـ بعدها ينبثق الجوهر .

يبرز على مسرح الرواية ثلاثة اشخاص : لوسي في الثلاثين من عمرها ، تعيش في بحبوحة وهي كسلى بفرح وتودد ، تعيش بين ذراعي رجل عجيب . هذا العجيب هو شارل الذي يذكرنا بقصص الجنيات وعلاقاتها مع الادميين . انه ساحر ويتألم من الغياب . ووسط هذا العالم الانيق الغريب ينبثق الحب ويتألق . الحب شهواني جسدي ووحده قادر على تحويل الحياة ومسخها . وما المسخ الا مقدرة الانسان على ان يصير شيئا اخر . ومن اجدر من الجنة بالتحول ـ اما انطوان فهو معجزة في الحب او معجزة عندما يحب . لذا فهو نادر الوجود . وتعود لوسي عارية القدمين الى الدار ، الى شارل والعزلة وكانت تعلم انها فاقدة كل وجود جدير بان يعاش . فدق الطبل او دحرجته لا يعنيان سوى الهزيمة ، الهزيمة داخل الحلم والامل . هزيمة الذين لا يحاربون او يكبرون ، هزيمة الاطفال داخل قوقعة الابدية . ساغان انسان لا يكبر وهو طفل في الثلاثين، يحلم بطريقة رومانسية بكائن شعري صغير يصون حريته في الحلم والفرار بواسطة دراهمه . ذاك ان انسانها كان يعاني ازمة الفراغ والغياب : انه عاطل عن العمل ـ ولا يحتاج اليه نظرا لغناه ـ يعيش بلا تفكير او حلم . انه لا شيء او انه انسان حجري بلا وجود حقيقي، وجود حي موقظ منقذ احيانا . فساغان تخترع اشخاصها وتدعي مع ذلك انها تصور الواقع وتكتب عن عالم معاش .

ـ ١ ـ

ان موضوع الرواية الاساسي هو الحب والدراهم اما البيئة فهي العالم الذي تحب ساغان ان ترى فيه اشخاصها حيث الحلم والتسلية والسخرية . ان اهمية لوسي تنبثق من كونها شخصا لا يتصرف كانه في الثلاثين . وهي لا تشبه لوسي بطلة بلزاك . لوسي هي رمز الانسان المعطل المتهدم والذي يحمي نفسه بحبه او كرهه بدراهمه وتبذيرها . هذا الانسان معطل بارادته ومتعلق بالطفولة الابدية . وحتى ينشأ الحب الحقيقي لا بد للعاشقين ان ينضجا وان يعيشا كراشدين لا كطفلين . وما يربط لوسي بشارل ليس الحب، بل كون الاخير موافقا على انعدام مسؤولية الانسان ولوسي خاصة وهو عازم على الا يترك مراهقته ابدا . انهما عاشقان مراهقان ابديان . البطالة تجمعهما ولا يحبان . لان الحب حرب . وهما في سكون تفعل فيه النقود فعلها وتدير حياتهما . فلوسي لا تحسب حساب شيء وهي لا تعي انها لامبالية ، مستهترة . وما تصبو اليه هو ان تفقد حياتها او ان تحلم بها بكل مسرة . وتدرك انها جبانة وانانية وتعصرها الحياة فتنشف . الانسان مشلول عند ساغان ولا داعي للصراع والنضال . وهكذا تهجر لوسي عشيقها عندما تعترض سبيلهما اول صعوبة حقيقية . انها تريد عالما سهلا بلا ازمات . عالما خاليا بلا زمن وحاجات وحدود وبدايات او نهايات . فهي لا تلتقي مع الاخرين الا في سبيل الافضل . في رواية ساغان السادسة هذه تتوالى المشاهد والاحداث تتقدم وتكتمل ، تسير جميعا بموسيقى خاصة

نحو القرعة الاخيرة حيث يبقى وجه حزين ـ اطل علينا في « مرحبا ايها الحزن » واستمر عبر الروايات الاربع السابقة حتى اعلان الهزيمة في رواياتها الاخيرة . الانسان الحزين الذي يحلم بان يموت وهو يقضي عطلة الاسبوع في حادث اصطدام، او ان يقضي ليلة في مدينة ، او ان يعيش وحيدا في شقةخالية، وكتابات ساغان لا تحمل شيئا جديدا يضاف الى عالم الادب الانساني ، فهي تقدم عالما عاديا معروفا مملولا، الا انه يشبهنا ويرتبط بنا.

ـ ٣ ـ

فرانسواز في الثلاثين من عمرها وهي ام مطلقة تحس للمرة الاولى ان من حق ولدها ان يصدرحكما عليها . انها مسؤولة لان طفلها بدأ يربطها بالعالم بطريقة اجتماعية.ان كتابها « الاستسلام » هو افضل كتاب لها منذ « مرحبا ايها الحزن » . ان كتابة ساغان حدث كما قلت في البداية. والحدث حضور وحقيقة جديرة بان تحلل وتفهم.ويعتبر بعض النقاد الفرنسيين ـ جورج بلموثت مثلا ـ ان ساغان هي كاتبة فرنسا الثالثة بعد جان بول سارتر ومونترلان . ان « مرحبا ايها الحزن» هو ظاهرة ادبية مهمة في عصرنا وهو يدفع الانسان ليقرأ ليفهم ويحس ويعيش ، يدفعه ليرتبط وليولد . ذاك ان ساغان جريئة جدا . تواجه الاشياء بعمق وصلابة ومحبة ـ ولا تقصد ان تفضحها وقد تفعل ذلك غالبا ـ . انها انسان لا يساوم احدا على حريته وحضورية وجدانه . انها تنظر الينا وتهزأ من نفسها لانها تعرف ان هناك من ينظر اليها ويراقبها . تعرف انها تراقب وهي مراقبة ، تطارد وهي مطاردة ، تهرب من العالم وثمة عالم يأوي اليها . ومما يميز ساغان هدوؤها الخاص او لنقل بصراحة لامبالاتها .

وهذه اللامبالاة الحياتية ادت الى ولادة اشخاص لامبالين ـ وغدت الرواية عاملا مسهلا للحياة ـ وهذا لا يعني انه حل صحيح لها ـ . وهكذا يلتجيء القراء الى مخبأ جديد هو قصص ساغان حيث يجدون في ابطالها متنفسا لهم ـ مما يؤدي الى نجاح ساغان في بيع كتبها .نسأل هل الفنان المهم هو الذي يبيع كثيرا ؟ طبعا لا . ليس المبيع بقياس للفن . ما يهم ساغان هو ان تعيش بطريقة طبيعية . وهنا يجب الا نخلط بين الحياة العادية ـ اي الاجتماعية وفقا للعادات ـ والحياة الطبيعية وفقا لطبائع الفرد ومتطلباته الغريزية . ان الحياة العادية لا تتنافى جذريا مع الحياة الطبيعية الا انها اكثر انتظاما منها واغنى واكثر حيوية نظرا لتركيزها واستهدافها . الحياة الطبيعية رفض للحياة الاجتماعية في بعض جوانبها . فهل هذا هو مصدر فشل اشخاص ساغان ؟ ليس من السهل ان نجيب لان ابطالها يكرهون ان يكونوا شيئا ما . رغم هذا فساغان تثير وتصمم على ان لا تخون طبيعتها : ولدت طفلة ، تحس انها طفلة فلماذا تريدونها ان تشعر انها سيدة في الثلاثين؟ كل حر في شأنه ومصيره . الا انه لا يمكننا ان ننسى ان من طبيعة الانسان ووفقا لخضوعه لظروف تربوية وثقافية ان يتطور وينضج ويهرم ويموت . هذه الدورة قديمة الا انها طبيعية وحدها . وسواها حالة مرضية وفرار . اننا لا نحسد ساغان لانها ثرية وتنفق كما تشاء دون ان تهتم بمأساة الجوع في الارض ولا لانها تملك سيارات تكسرها كيفما تشاء ... ما يهمنا هو ان نرى ان ساغان طفلة في الثلاثين وام لطفل وترفض ان تكبر ، التهمة الرئيسية التي توجه اليها هي انها تكتب دائما رواياتها في بيئة لا تتغير . وتجيب : انها تكتب عن بيئة تعرفها ،تعيشها وتختبر اهواءها ورغباتها ومتطلباتها الكيانية واليومية . فغاية الفن هي اظهار الحقيقة المشتركة التي تربط الكل .

القلق هو العامل الرئيسي في تطوير حياة ساغان . ونعرف ان الانسان المريض ـ جسدا او كيانا ـ يميل غالبا الى الانحدار صوب الطفولة . الطفولة لا تعني الانفتاح وامكان التغير والتجدد ، لا تعني بداية الحياة ونهوضها ، وهي لا تعني الربيع المزدهر . الطفولة اسطورة يلجأ اليها الانسان ليحمي نفسه . فساغان لا تستقر ، لا تعرف ماذا تريد تماما . لا وضوح ولا ارتباط مؤكدا . كل شيء يتآكل . فلماذا نهتم ؟ روايات ساغان لا تحمل لنا حلولا . انها تعرض وتؤكد ان الحياة معقدة وليس هناك حلول كثيرة حتى يقدمها الروائي . هذا تبسيط مضحك والذين حاولوا ايجاد حلول نجحوا في اغلب الاحيان . الصوت لا يكفي في الرواية ، اعني الصوت الخاص . كل فرد له صوت خاص يميزه عن سواه ، وكل كائن له حياته وارتباطه البشري . نحن لا نطالب الروائي بان يحل لنا العقد وان يتخطى المعضلات لكننا ندعوه الى الملاحظة والاستقصاء والتوغل . ذاك ان هناك عددا كبيرا من الافراد يحل مشاكله ويتجاوزها . وان الرواية بدأت تتسع لسلوك الجماعة . الفرد له سلوكه داخل المجتمع . الفرد على علاقة مع انه يعيش في عالم محسوس . وكل يفكر ـ الا اذا كان في عالم تجريدي ـ بتقديم حل لمشاكله او لمشاكل غيره التي تمسه مباشرة او لامباشرة . ان ساغان تحاول ان تنقل لنا الحياة دون ان تتغير الكاتبة نفسها . انها ثابتة . لكن كيف يفهم الحياة ويصورها من لا يختبرها ، من لا يعيشها ولا يكون شيئا منها ؟ طبيعي ان يقاوم الفرد ، وان يحاول الصمود « بانا » خاص امام النحن ، امام الكل الاجتماعي المفروض ، الا انه ليس من المؤكد ان يصمد ابديا . الحياة مشاركة والمشاركة تفترض التغير . فاي شيء هو الصدق ؟ صادق هو من ينقل الحقيقة كما يعيشها لا كما يتخيلها. فكيف يكون صادقا من يبتعد عن حياة الاخرين ولا ينغمس فيها .كيف يدعي ان مبصر من اغمض عينيه ؟ الصدق عند الفنان اصبح كليشه . الفنان اما ان يشارك امته شعبه اصدقاءه في حياتهم وان يعرفهم فيصير باستطاعته ان يعبر عما يجيش في صدورهم وعما يجري في حياتهم المتواصلة واما ان ينفصل فيبطل ويسقط .

وتعترف ساغان انها تعبت على انتاج رواياتها ، الا ان هناك سقطات بسيطة ولدت من كسل ساغان المشهور . وروايات ساغان السابقة هي : « ضحكة ما » « في شهر في سنة » « قصر في السويد » «هل تحبين براهمز» وكتابها الاول هو «مرحبا ايها الحزن» و«استسلام» يأتي ثانيا من حيث التقييم الفني وسادسا من حيث التاريخ . فقد لجأت ساغان وهي في ١٨ من عمرها الى كتابة « مرحبا ايها الحزن » بعد فشلها في البكالوريا . هربت من الواقع المعاش لتجسد انطباعاتها وتنظر عن كثب الى عالمها . لتعيش بوجهها في حضورية مأساتها.الانسان مشروع وكل مشروع معرض للفشل او للنجاح . الحزن هو وجه الحياة الاخر ـ ولا ندري اذا كان الوجه الوحيد والحقيقي ـ . ومرحبا ايها الحزن تنم عن جرأة فائقة في مقابلة اليأس والسقوط . الفشل عودة الى الطفولة حيث يصير الانسان نكرة ويفقد قيمته الكيانية ليتكلم بلغة المجهول ويضيع في غبار الحياة والاخرين . ان ساغان تشك بنفسها في كل لحظة وهذا هو الداعي الوحيد لاندفاعها نحو الكتابة . فالشك هو عفويتها . وكتاب مرحبا ايها الحزن مؤثر فعال ، لا يساويه الا كتاب غوته الرومانسي « اشجان العاشق ورتر » .

الا ان ساغان صارت اما ولها طفل تحبه كثيرا . فحضور دني ـ طفل ساغان ـ في حياتها هو عامل مهم،بدأ يدفعها نحو الانتظام والتفكير في انفاق دراهمها وربما في تصرفاتها الخاصة . وكان يبدو لساغان ان من حقها وحدها ان تدين نفسها ، وليس من حق احد ان يتدخل في حياتها (ذاك انها طفلة خالدة) ، وان الراشدين يرون انهم ملتزمون ازاء النظام الاخلاقي والاجتماعي.وبعد هذا صار من حق دني ان يدينها. دني الطفل غير مفهوم الحياة عند ساغان ؟

فدني هو حاكم وعين تنظر اليها وكانها ترغب في ان ينظر اليها . تلك الرغبة اصيلة جدا عند ساغان الحزن وساغان السقوط والاستسلام او اللامبالاة . العزلة تقتل او تخلق : ساغان وحدها ـ او تحس انها وحيدة ـ عندما لا ينظر اليها كما يجب ووحيدة عندما لا تستطيع ان تمنح الناس حق ادانتها . وحزن ساغان الحقيقي ناجم عن كونها مراهقة وعن وجود عدد كبير من المراهقين في العالم : هذا السيل العارم من الرغبات التي لا تنتهي وهذا الانحدار الابدي صوب الطفولة والبقاء في قعر الولادة والتمخض حيث الحرية الكبيرة ممكنة .

ـ ٤ ـ

استهل الناقد الفرنسي فرانسوا نوريسيي مقاله في

(Les nouvelles littéraires) عن ساغان بالكلمة التالية : « ما زال البورجوازيون الفرنسيون » حتى فرانسواز ساغان ، يرتبطون بالادب بواسطة علاقات مازوشية خالصة » فابطال ساغان يكتشفون انهم فاتنون ويتمتعون كثيرا ، انانيون وبهم جوع للشمس والمحركات،طائشون وحائرون . ونجاح ساغان عائد الى ان القارىء الفرنسي البورجوازي المدلل طبعا – الذي يملك سيارة يرى انه بطل الرواية المقصود فيجد لذة خاصة في تأمل صورته – مأساوية او مضحكة – التي رسمتها ساغان له ولها . ساغان لا تهتم بثورية المجتمع ولا بروحيته الحقيقية . انها تهتم بمانعرفه وتتكلم عنه فقط : التسلية وتذوق الرفاهية والبطالة وشيء من الحزن وتقدم بهذه الصورة وثنية عن الحياة الفرنسية المعاصرة. وهكذا تقوم بطلتها (سيسيل في ١٨ عام ١٩٥٤ ولوسي في ٣٠ عام ١٩٦٥) اكثر من اي بطل اخر. فهناك نماذج خاصة بساغان . ووسيلة ساغان الاولى في كتابتها هي مرآتها الخاصة ، مرآة حياتها المضطربة قليلا والصافية اذا ما قيست بحياة الفقراء والمعوزين والجهلاء في اسيا وافريقيا واميركا اللاتينية . وحتى من خلال مرآة خادعة تخلق احيانا حياة مضللة . فساغان هي روائية ساغان ، روائية وسط معين من البورجوازيين التجار والصناعيين . فالعاشق البورجوازي وعشيقته المدللة يبحثان عن اللذة السهلة السريعة العابرة دون اهتمام بمشاكل الحياة العميقة وبالبحث عن الحوار الجوهري بين الانسان والعالم ، المجتمع والمجتمع العقل والاشياء . فالفن الروائي يتطلب عمقا وابعادا ورؤى صحيحة ، يتطلب جهدا في الكتابة وتأملا ونقديما جيدا لسلوك الانسان الاجتماعي المتوثب .

وقد باعت ساغان من كتابها الاول ... ٨٤٠ نسخة (مرحبا ايها الحزن) ، ومن كتابها قصر في السويد (... ١٦٠) وبعدها بدأت تقل مبيعاتها . لماذا تكتب ساغان ، هل لتخدم الادب ام لتكسب ؟ تجيب ساغان لاكسب واحب . فما معنى النقود في فلسفتها ؟ الدراهم تسمح للانسان ان يلعب بالمعطيات ويحولها كيما يشاء فيحس بنوع من الحرية. ساغان تلعب ، وتفضل العاب الطفولة على الالعاب الاجتماعية المعقدة. تعيش مع عصابة خاصة وتقود سيارتها عارية القدمين نحو بسان تروبز. لكنها الان تذكر انها تكبر ابنها دني (في الثالثة) بعشر مرات . فالنجاح يجلب الدراهم . النجاح هو الدراهم.والدراهم تفرح . اليس كذلك ؟ تسألنا ساغان . وتؤكد ان دني صار منظما جديدا لنفقاتها وكابحا اخر. ويعتقد ان ساغان ستكبر هكذا بفضل ابنها الطفل وتحس انها مسؤولة عنه ولا تحتاج الى ولي امر . الحاكم الاخير هو الفرنك الفرنسي .ان ساغان تتمتع بواسطته بكل انواع الحريات . التحرر المادي هو الاساس . وكلما نشرت كتابا يدفع لها صاحب دار النشر مبلغا يكفيها لتعيش سنة او سنتين كما يحلو لها . ومع هذا فلها مشكلتها الطفولية: انها لا تستطيع ان تستقر ، لا تحس انها في بيتها ابدا الا اذا كانت عند امها . وهي مصممة على الكتابة طيلة حياتها ولا تعرف لماذا . لترتبط بالاخرين ، لتؤثر فيهم ، لتخدم قضية ما . او لتقدم لنا صورة عن عبثية البورجوازية الفرنسية.؟

وساغان ليست روائية فحسب فقد بدأت تتنبأ بعد ظهور روايتها الاخيرة بوقوع الحرب عام ٦٥ – ١٩٦٦ . وهي تثور ضد العرقية (في تصريحاتها فقط) وتصور فرنسا التي تهدمها الاموال وتفقدها اخلاقيتها التراثية اي الاجتماعية .

فلا شيء موجود بالنسبة لساغان . اشخاصها غير موجودين ومع ذلك فهم واقعيون – هذا منطق جديد . فهي تكره ان تدين شخصا ما : وهذه هي ميزتها الجديدة . انها بدون موقف ، بدون علاقة مع اي وسط حقيقي . انها هامشية : تعيش في غلاف خاص بين نفسها والاخرين . وحتى لوسي تهجر عشيقها – لانه بدأ يفقد ثروته – بحثا عن عاشق اغنى . فبينما تحب تعتقد ان كل شيء ممكن : الموت والقتل الخ.. وما يهمها هو نقصان حريتها الناجم عن نقصان الدراهم في حسابها الجاري في المصارف . انها كائن سعيد . اناني وسعيد . سعيد لانه اناني ؟ انها مرتبطة قبل كل شيء بحريتها وتعرف انها فقدت توتر الحياة وزخمها وفقدت بذلك طعم الوجود الحقيقي . ان ساغان تحب لوسي لانها تجسد احدى مشاكلها واحدى مشاكل المجتمع الفرنسي المعاصر : عدوى النقود . فهل تفضيل الاستقرار على التوتر هو التعريف الجديد للبورجوازية الفرنسية ؟ لا تعتقد فرانسواز فهي لا تحب امتلاك النقود ولا توفيرها . فالنقود في المجتمع المعاصر هي وسيلة دفاع ووسيلة حرية . وما يهمها حقا هو ان لا تعيش فقيرة . وهكذا فهي تفكر في موتها – رغم سخريتها وشكها الطفولي – وتحزن لموت الاخرين وتحب ان ينبسطوا مثلها لانهم لن يكرروا تمثيل مسرحية الحياة . ساغان لا تتكلم عن الحب ابدا : الحب حرب حيث يحاول كل واحد ان يمتلك الاخر – وهذه نظرة سارترية. وجوهر الحب هو ان يقدم الانسان نفسه للاخر لا ان يمتلكه . الحب شيء والامتلاك شيء اخر وهو باعث صراع وحروب . الحب مصير ما . وهي تكره المصير . عندما كتب مالرو : « الفن هو اللامصير » حرر الانسان مرحليا ليدفعه الى الالتزام . اما ساغان فتكره كلمة المصير كثيرا وتحب سارتر الملتزم اللامصيري.الملتزم الزئبقي . فهي تحب سارتر لانه يكره ان يكون له مصير ما ، اي انه لا يهتم بشخصه هو وبالاثار التي يتركها في تاريخه . فحياته مليئة بالمسافات والفواصل ، وهي غنية وغير منتظمة وهي غير مصطنعة .انها معجبة بسارتر كثيرا . مع ذلك فهي تكتب قبل كل شيء لنفسها .فهي لا تحب الاخرين كثيرا . انها ليست ثعلبية الروح والتفكير . فهي تنشر لتربح نقودا فقط . لتعيش . وهي تحب الناس الضائعين الضالين ، الذين لا يفهمون اين هم وماذا يريدون . وهكذا تشعر ساغان – النبية الجديدة – انها ذاهبة لمساعدتهم ؟ فهل تساعدهم فعلا ؟ اين وكيف ومتى ؟ ساغان لا تحس انها مسؤولة امام الجمهور لكنها مسؤولة ازاء بضعة اشخاص منهم ابنها دني . لكن كونها اما لم يغيرها كثيرا .فهي تشرب الويسكي وتمرح . انها ملحدة حقا : كما تقول . فساغان تتأرجح كيانيا وفكريا وهي متناقضة وضائعة بين اخلاقية تطبيقية واخلاقية سياسية – لائقة نظريا – ..

– ٥ –

فما هي رسالة الفن ؟ كتب الشاعر الفرنسي الكبير لويس اراغون في « الادا بالفرنسية » دراسة بعنوان « ما هو الفن يا جان ليك جودارد ؟ » ما هي السينما ؟ كانت في البدء مختصرة باشخاص: شارلو اولا ثم رنوار وبونويل وجودارد في وقتنا الحاضر . لكن سؤال اراغون ليس عن السينما بل عن الفن . ان اراغون يحب اللغة ولذا فهو يحب جودارد الذي كله لغة وحيوية . ففن دلاكروا – الرسام الشهير – يشبه فن جودارد في Pierrot le fou بيارو المجنون . فاستعمال اي وسيلة عند جودارد له هدف دائما . شيء اخر مهم هو الالوان : فهي الوان العالم الحي الحقيقي ، العالم كما هو . « كم هي مرعبة الحياة ! لكنها جميلة ابدا » وجودارد لا يكتفي بنقل العالم كما هو ، بل يدخل تفكيره الفني على وسائله التعبيرية .

فاللون عند جودارد ما هو الا امكان جديد في الفن يتيح لنا ان نميز . اللون يعني التفريق بين الشيء والشيء . واستعماله يفترض مهارة عظيمة . فبواسطة اللون سنسمع الصوت جيدا رغم بكم الالوان. فما قيمة الفنان الذي لا لون له . هناك كتاب يرفضون رؤية الدم والواقع والالم والحياة ويجعلون كتبهم روايات خاصة بهم . فاين مكانهم من الحياة الغنية ؟ نحن نفضل رؤية الدم اي الحياة والحركة. ففي «بيارو المجنون» يغني اللون الاحمر وكأنه حصار يتفتح . فاختلال العالم هو مادة الفن الحقيقية رغم الاضاءة الكهربائية الحديثة والفورميكا والاحياء الفخمة . ثمة مأساة عميقة في حياتنا وهذه المأساة هي موضوع تفكيرنا وكتابتنا . عن الامل ؟ هو الاخر يبدو مرتكزا عليها. فالفنان هو الذي يخلق ابتداء من الحوادث والمشاكل الانسانية جمالا معبرا مثيرا . فالفن بنظر اراغون هو هذياننا الباحث عن استنباط الحياة نفسها . وهو تغرية مكرسة لتعلمنا الغيب وتفكير الانسان ذي الاعين الفارغة . والرواية هي ما يصير وما لا يصير . كل شيء يبدأ والقصة تتغير . هذا هو كل شيء . نحن كلنا اشباه «بيارو المجنون» بطريقة او باخرى ، واقفين على سكك الحديد وننتظر قطارا يأتي ليسحقنا ، او لنرحل قبل الثانية الاخيرة . لا شيء ينتهي . سيأتي اخرون ليسيروا فوق نفس الطريق ، بنفس الخطى او بخطى مختلفة . كنت اود ان احدثكم عن الفن ، لكنني لم اتحدث الا عن الحياة .

جامعة ليون

خليل احمد خليل